عرائس الربيع

للأستاذ علي محمود طه

وثبن في موكب الطبيعة ... وثوب غزلانها الوديعة
منشرات وسرسلات ... قلائد الفتنة الرصيعة
أثار دفء النسيم روحاً ... فيهن مشبوبة وليعة
وهاج عطر الصباح فيها ... ما هاج في النحلة الرضيعة
فرحن يمرحن في غناء ... تُصغي، وتتلو الرُّبى رجيعه
يحملن ورداً بها لورد ... يختال بالحمرة اليفيعه
كأنما الروض قلبُ صَبٍّ ... أسلنَ فوق الثرى نجيعه
هذا الربيعُ الجميلُ يجلو ... فنون إبداعه الرفيعه
مشى يُحيي الرياض منه ... خُطىً على صدرها سريعه
وديعةُ الخالد في يديه ... وبوركت فيهما الوديعه
انشقت الأرض من شذاه ... وأثرعت كأسها الرصيعه
ولي فمٌ ناضبٌ وقلبٌ ... فارغةٌ كأسه صديعه
عرائس الحسن لا تدعن الـ ... ـمحبَّ للهجر والتقطيعه
فإنهُ شاعرٌ يُغنّي ... أحلامه الحلوة البديعه
لكنّ يُحيي صِبا الليالي ... شدواً، ويُشجي الهوى دموعه!

عاد ربيعُ الثرى وعادتْ ... سوابح الدوحة الوشيعه
هفتْ يجوبانها إليه ... مُفضيةً سِرَّهُ مُذيعه
وزفّهُ بلبلٌ لصوب ... في جفنه وردةٌ خليعه
وحدّق الزهرُ وانثنأتْ ... كأنّ حوله سميعه
شريعة الغاب ما أراها ... دماً ولا ميتةً ذريعه
لكنهُ الحبُّ فوضوياً ... يقتحم القرونة المنيعة
تدعو له الكائناتُ طراً ... وتُقدّس الحبَّ من شريعه
فيا عروس الربيع هاتي ... من وحيه وانثري صنيعه
أنتِ شبابُ الحياة أنت الجمالُ في موكب الطبيعه
وأنتِ أنتِ الربيعُ، لا ما ... تبدعه ريشة الطبيعه

خدّاكِ، نهداك، من جناهُ ... فاكهة الجنة المضيعه
ثغرك ريّانُ من رحيق ... الحبِّ يحيي به صريعه
شعرك من نور ناظريه ... يقبس منه الشقي سطوعه
وقيت لمح العيون إمّا ... رمتك بالنظرة الجميعه
وقيت لفح الشفاه إما ... هفت بها قبلة الخديعه
وقيت فحّ الصدور إما ... غلتْ بها الشهوة الوضيعه
فأرجعي يا عروس فني ... صِباً يود الهوى رجوعه
أيامُ كلُّ الطريق زهرٌ ... وكلُّ حافاته مريعه
أيام كلُّ الحياة فجرٌ ... ترقب عين الفتى طلوعه
وليله مهرجان عرس ... قد أوقدوا حوله شموعه
إن أنت لم تُحيي إليه ... قتلت في صدره نزوعه
ومن لقلب أضاع بين الهوى وبين الصبا ريعه!!

علي محمود طه

كن زهرة

للأستاذ إيليا أبو ماضي

قل للذي أحصى السنين مفاخراً ... يا صاح ليس السرُّ في السنوات
لكنه في المرء كيف يعيشها ... في يقظةٍ أم في عميق سبات
قم عُدّ آلاف السنين على الحصى ... أتعدُّ شبه فضيلةٍ لحصاة؟
خير من الفلوات لا حد لها ... روضٌ أغنّ يقاسُ بالخطوات
كن زهرةً أو نفحةً في زهرة ... فالمجدُ للزهرات والنفحات
تمشي الشهورُ على الورود نحوكة ... وتنام في الأشواك مكتئبات
وتموت هذي العقم قبل نمائها ... وتعيش تلك الدهرَ في ساعات
تحصي على أهل الحياة دقائق ... والدهر لا يحصى على الأموات
المرءُ إلا بالمآثر فارغٌ ... كالبيت مهجوراً وكالوماة
جعل السنين جميلةً وكبيرةً ... ما في مطاويها من الحسنات

إيليا أبو ماضي

صور من الحياة :

غـــدر ... !

للأستاذ كامل محمود حبيب

لقد كان عهدى بك — يا صاحبي — فتى مشرق الوجه وضاح الجبين ربيع الشباب ، تتألق — دائماً — فى النال الثمين من اللباس فتبدو فى رأى العين حسن الهيئة جميل الشارة ، تتوثب نفسك سعادة ومرحاً ويفيض قلبك بهجة وحبوراً ، يشغلك سهل الحياة من حزنها وتصرفك سمة العيش من شظفه ، تتفتح لك الدنيا عن مثل بسمة الزهرة النضيرة سقاها ندى الفجر الرطيب ورفت عليها نسمات الصبح الرقيقة ، فتتدفق فى قلبك لذة وهدوءاً ، فكنت — إذ ذاك — تبدو كفراشة سعيدة ما بها إلا أن تثب بين الورود والرياحين ترشف الرحيق العذب فى شوق وشغف ثم تنطلق إلى غايتها لا تأسى على شىء . فمالى أراك الآن وقد حال لونك وذوى عودك ، إننى أحس كأن حادثة عصفت بك فلفّت بهجتك فى ثناياها وطوت البشر من عينيك ، فبدت على جبينك سمات الحزن وارتسمت على وجهك علامات الكآبة . يا عجبا ! لقد تقضّى جبينك بعد إشراق ، وتكسرت شوكك بعد صلابة واستحالت أناقتك إلى أسمال خلقة ! فماذا كان من الأيام وماذا كان منك ، يا صاحبي ؟

وأطرق الرجل حيناً فى خجل ثم قال وفى صوته ضعف وفى نبراته اضطراب « إن لى حديثاً طويلاً لا أستطيع أن أقضى به إلا أن يطمئن بطنى ، فأنا منذ ليلتين أبيت على الطوى لا أجد ما أسد به رمقى ، وحاولتُ جهدى أن أحتال لأمرى فعجزتُ ، وتنكّرت لى الأيام وعصرتنى الحياة بين فكين من حديد ، فانسدت مسالكها وأوصدت مساربها ، وتراءت لى قلوب الناس جامدة لا تنبض بشفقة ولا تهتز برحمة ... »

وحزّ حديثه فى نفسى فانطلقتُ أهيىء له طعاماً وشراباً ، فما راعنى إلا أن يلوك اللقمة ولا يكاد يزدردها ويحركها بين أسنانه ولا يكاد يستسيغها . فقلت له فى دهشة « ما بالك لا تقبل على الطعام ؟ » قال : « يا سيدى ، إن الطير ليزق فراخه وهو خمصان فيحس الشبع والراحة حين تهدأ نفوسها ، وإن الوحش الكاسر ليطعم صغاره دون نفسه وبه قرم إلى اللحم فيجد السعادة والهدوء . وإن لى صبية يتلوّون جوعاً ... » قلتُ : « إن لعنة الله لتنحط على الكلمة فتصيبه بالتخمة ليعلم أن بطنه لا يسع ما يشبع بطنين » ثم أخذتُ أعدُّ لصغاره طعاماً يكفيهم أياماً ، ورأى هو الطعام فهب — فى بشر — يريد أن يحمله إليهم ، فقلت له : « مهلاً ! إن الخادم سيحمله إليهم وستبقى أنت هنا لتقص قصتك ... »

وجلس صاحبي إلى جانبي مطرقاً فى مهموم ، وإن خواطره لتضطرب فى بيداء السنين وإن الحوادث لتشتجر فى قلبه ، وإن نفسه لينازعه من أن يفضى إلى بذات نفسه . فقلت : « يا أخى ، لا بد من شكوى ... ! » قال : « آه ، إن فى الإنسان دوافع ترابية إن سيطرت عليه سفلت به عن معانى الإنسانية » ثم قال : « نشأت أنا وأخى الأكبر وحيدين تجمعنا صلة الأخوة والصداقة وتضمنا روابط الطفولة واليتم ، لم نشعر بعطف الأب ولم نتنسم حنان الأم ، ولنا دار وتجارة ، فتكفلنا عمنا ، وماله ولا فيه طمع فشملنا بعطفه وخصنا بعنايته وإنه لرجل دين وقناعة ، فما امتدت يده إلى درهم من مالنا ولا عبث بالقليل من تجارتنا ولا خلبه بريق الذهب ولا استهواه شره المال ، فعاش وعشنا فى كنفه سنوات ، ثم أصابه الكبر وعصفت به الشيخوخة على حين قد نما أخى الأكبر واشتد عوده ، فقام هو على تجارتنا يصرفها ويرعاها ومن ورائه رأى عمى وتجاربه وإخلاصه .

وانطوت السنون تصقل أخى وتحببه بالران والدربة ، وأنا منصرف عن شواغل الحياة وعن رواعى العمل إلى عبث الشباب وطيش الصبا ، لا يعنينى إلا أن أجد المتعة واللذة ... وقرّت ما آلاق من حب أخى ووفائه فسكنت إلى صفاء ودّه وخالص حبه ...

ثم تزوج هو وتزوجت أنا ، ودخلت المرأة بيننا تريد أن تفصم عروة عقدتها يد الزمن ، وأن تقطع أصرة ربطتها جفوة الحياة منذ أن شب كلانا عن الطوق . والمرأة شيطان جميل يتسرب حديثه الطلى إلى القلب رقيقاً فى مثل نسمات الربيع اللطيفة ، وهى ثعبان ينفث سموماً تتدفق فى النفس فى مثل حلاوة الرحيق ... ووجدت كلمات المرأة من أخى أذناً صاغية فما لبثت أن شطر الدار شطرين ، وأقام بينى وبينه جدر ، لا يستطيع واحد أن يظهره .

وأحسست أنا — لأول مرة فى حياتى — مسّ الأسى والحزن حين أحسست فقد أخى وهو إلى جوارى .

وانجابت غشاوة من على عينى فتراءى لى ما يتوارى خلف أستار الزمان ، وخشيت أن يخلو أخى إلى زوجه يلقى السمع إلى حديثها ويلقى السّلم إلى رأيها فإذا تجارتنا شطرين مثلما أصبحت دارنا شطرين ، وفجرتُ أياماً تؤرقنى الفكرة وتزعجنى الخاطرة ، لا أستطيع أن أصرف نفسى عنها ولا أن أمحوها من خيالى ، ثم رحت إلى أخى أكشف له عن هواجس نفسى وأنشر أمامه خلجات فؤاده فقلت : « أىّ أخى ! أنا لا أستطيع أن أجحد فضلك ولا أن أنكر جميلك ، فلولا ما بذلت من جهد وعناية مازهت تجارتنا ولا ازدهرت ولا درّت علينا هذا الرزق العميم . ولقد كنتُ فى حياتى كلها أحس منك شفقة الأخ الأكبر وحنان الأب الرحيم ، أطمئن إلى حبك وأسكن إلى إخلاصك . وإنى لأخشى أن توسوس لك نفسك فتستقل بنصيبك فى التجارة وتدرى شائعاً ، وأنا حريص على ألا نصدف بنا نوازع المادة فتصدع وحدتنا وتنشق عصانا وتتقطع وشائج القلب وصلات الروح . وهذه تجارتنا بين يديك ، هى لك كلها إن شئت ولك جلها إن أردت ، وأنا قانع بما تنزل لى عنه لأننى لا أرضى بأن يشمت عدو أو أن يتشفّى حسود » .

وسمع أخى الأكبر حديثى فاستيقظ تاريخنا كله فى قلبه منذ أن كنا طفلين نستشعر الذلة ونحن الضياع فترقرقت فى عينيه عبرات ما تتحدر وفاض قلبه بالعاطفة السامية ، ثم وثب على كتفى وهو يقول « لا يزعجك هذا الأمر فأنا أشد حرصاً عليه . ولقد اقتسمنا الدار لأننى كنت أخشى أن يدب خلاف بين زوجى وزوجك أو أن يطغى ابنى على ابنك فتهدم سعادتنا وتنقض راحتنا . أما التجارة فهى لى ولك . . »

وقلت من لدن أخى وإن الفرحة لتغمر قلبى .

ومضت سنة واحدة ، ثم انحط علىّ مرض يعركنى عركاً شديداً . وحبسنى الداء فى حجرة من الدار لا أستطيع أن أبرحها وإلى جانبى زوجى تقدم على حاجاتى فى غير غضاضة ولا ملل ، وأخى يغدو إلىّ ويروح وإلى جانبه طبيب وبين يديه دواء ، وأنا لا أنوء بأثقال المرض ، وإن زوجى وأخى بين يدى يرفهان عن نفسى شدة الضنى ويخففان عنى صولة العلة ، ومن بينهما طبيب . والطبيب رجل غليظ الكبد ، سقيم الوجدان ، واهى الرجولة ؛ لا يشفى غلته سيل من المال ، ولا ينقع صداه بحر من الذهب ؛ يصرفه الجشع عن الواجب ، ويشغله الشره عن الإنسانية . وطالت بى العلة ، فما أرمضنى إلا صغارى يحومون حولى ، وإن قلوبهم لتتفطر أسى ولوعة لما أعانى من ألم . ثم برئت — بعد لأى — من سقامى لأخرج للناس شبحاً ضامراً هزيلا شاحب الوجه ، مرتعش اليد ، منحط القوة .

ورأى أخى عجزى وضعفى فتنكر لى وانطوى عنى فلا يزورنى إلا لماماً ولا يحدثنى فى شأن تجارتنا إلا قليلا ، وقبض يده عنى فلا يبض إلا بدريهمات لا تسد حاجة ولا ترأب صدعاً . ولست أنا فيه الجفوة والقسوة فاضطرب قلبى وازعج فؤادى ، ولكنى لم أستطع أن أتحدث إليه بأمر . ماذا أقول وأنا أوقن بأن مرضى قد كلفنى فوق الطاقة استنفد الكثير من مالى ، غير أن حاجات العيش ثقال ومن ورائى زوجى وصغارى يطلبون القوت واللباس ولا يقنعون بالتافه من العيش ولا يرضون بالرخيص من اللباس ؛ فذهبت إليه أدفع نفسى دفعاً عنيفاً واحلها أمراً لا تطيقه .

وجلس وجلست أنا ، وتحدثت إليه بحاجتى فاعرض عنى ولم يلق بالا إلى كلماتى ، بل قام فى أناة وتؤدة ليجمع أوراقه ودفاتره ثم لينشرها أمامى وهو يقول : لقد استنزفت أيام مرضك كل ما ادخرنا وركبنا الدين ونحن الآن نسير إلى الإفلاس فى سرعة . وهذه أوراقنا تدل على صدق ما أقول » ووجمت أنا لحديث أخى ، وتراءى لى أن يداً عبثت بالتجارة وأن عقلا عاث فى الأوراق ولكن الكلمات ماتت على شفتى ، واستمر هو فى حديثه يقول « والآن أصبح لا مندوحة لنا عن أحد أمرين : إما أن نبيع الدكان بما فيه لرجل غريب ، وإما أن يشتريه أحدنا ويدفع الثمن فوراً » وصدمنى الرأى صدمة عنيفة ، فأخى يثق بأننى خاوى اليد والجيب وأننى أضن بتجارتنا أن تصبح فى يد غريبة وأننى فى حاجة شديدة إلى المال . فقلت فى استسلام وكمد « خذ أنت حصتى » قال « فهى تساوى كذا وكذا يخصم منها ثمن الدواء وأجر الطبيب وهو كذا فيبقى كذا » وأرغمتنى الحاجة على أن أنزل عند رأيه فكتبت له تنازلا عن حقى لقاء المبلغ الذى أراد ، ثم انفلت من لدنه وبين يدى جنيهات وفى عينى عبرة وفى قلبى لوعة

آه ، يا صاحبى ، إن فى الإنسان دوافع ترابية إن سيطرت عليه سفلت به عن معانى الإنسانية » ...

كامل محمود حبيب